دور تراجم القرآن
في نقل صورة الإسلام إلى الآخر

الأستاذة سعاد العذاري

مدخل :

نقل مترجمون مختلفو المناحي والدوافع والأهداف القرآن إلى عدة لغات، فمنهم الكاتب الفضولي الذي يسعى إلى إشباع فضول قومه، ومنهم من يحترف القلم، ومنهم الملحد والمتحامل الذي غايته رمي القرآن بالسخافة، ومنهم المبشرون، ومنهم من تدفعه غيرته على الإسلام لنقل معانيه إلى لغة أخرى لتيسيره لغير العرب، ومنهم من يترجم القرآن لأنه يحذق هذه اللغة وتلك فيرجو بذلك مخالفة غيره من المترجمين، وكثرت التراجم وتنوعت وامتدت إلى لغات شتى. ففي اللغات الأوروبية وحدها أحصى الأستاذ محمد حميد الله أكثر من خمس وثلاثين ومائتي ترجمة. وموضوعنا هذا لن يتناول بالدراسة والنقد كل هذه التراجم، وإنما سيقتصر على بعض العينات، وهذه التراجم هي :

ترجمة دنيز ماصون وتحمل عنوان : القرآن [1].

ترجمة كازيمرسكي بعنوان : القرآن [2].

ترجمة بلاشير بعنوان : القرآن [3].

(1) Le Coran, traduction de Denise Masson , Edition Gallimard 1967 .
(2) Le Coran , Traduit par Kasimirski , Edition Flammarion , Paris 1970 de l'Arabe.
(3) Le Coran ,Traduction Régis Blachère , Edition : Maisonneuve et Larose, Paris 1980 .

ترجمة ريني خوام بعنوان : القرآن : النص الكامل [4].

ترجمة جاك بارك بعنوان : القرآن : محاولة ترجمة [5].

ترجمة صلاح الدين كشريد بعنوان : القرآن الكريم [6].

ولئن تعددت التراجم فإن اختيارنا في البداية لهذه التي ذكرنا لا لخاصية معينة تتصف بها، وإنما بسبب توفرها في مكتبتنا، ولكننا سرعان ما استصوبنا هذا الاختيار لأن أصحاب هذه التراجم يشكلون رموزا للدارسين للعلوم الإسلامية بطريقة أكاديمية محايدة.

وقد شحذ عزيمتنا على إنجاز هذه الدراسة ما لفت انتباهنا من اختلاف التراجم وبعدها عن المدونة أثناء إنجازنا لبعض الأعمال العلمية، والقصد من وراء ذلك هوالوقوف على مدى توفق هذه التراجم في نقل النص إلى اللغة الفرنسية من ناحية وخصوصا في نقل صورة الإسلام إلى الآخر.

سنتعامل مع النص كأي نص أدبي آخر ملتزمين في ذلك الموضوعية والبراهين العلمية في النقد.

وسنهتم في هذا البحث بما قصرت التراجم عن أدائه فأدت مدلول الآية بما يتناقض والمعنى المقصود والمنبعث منها، فحرفت النص وأعطت للآخرصورة مغايرة عن الإسلام. ولا نريد بهذا البحث الانتقاص من قيمة أعمال هؤلاء المترجمين، وإنما التنبيه على أخطاء اقترفوها، بعضها اضطرارا لقصور اللغة المترجم إليها عن احتواء المعاني الغزيرة للعربية، وبعضها الآخر نتيجة للعجلة في الترجمة بأول معنى يتبادر إلى الذهن، أو للنقل

(4) Le Qoran ,Texte Intégral, Traduit sur la vulgate arabe par René R. Khawam, Edition : Maisonneuve et Larose 1990.

(5) Le Coran, Essai de Traduction par Jacques Berque, Edition revue et corrigée, Albin Michel, Paris 1995.

(6) صلاح الدين كشريد، القرآن الكريم، al Quran al Karim, Traductin et notes, Dr Salah Ed-Dine Kechrid, dar el Gharb al Islami, 2éme édition, 1984.

عن مترجم آخر، أو لجهل باللغة العربية وبأغوارها العميقة، أولالتباس معاني القرآن على المترجم وعدم رجوعه إلى التفاسير والفقه والأحاديث الشارحة لها . وسيتضح ذلك تدريجيا خلال هذه الدراسة. وسنركز على المواضيع التالية :

التراجم والفاصلة وعلامات الوقف في القرآن.
التراجم وتعدد الأوجه الفقهية المنبعثة من اللفظة القرآنية.
التراجم وغزارة معاني اللفظة القرآنية.
التراجم وعكس المنطوق من القرآن.
التراجم والتقديم والتأخير في القرآن.
حياد التراجم عن اللفظ والمعنى معا.

إن اختيار المترجم لمعنى من المعاني هو في حد ذاته تفسير، ذلك أن المفسرين صنفان : صنف الشراح كالطبري وابن كثير وغيرهما، وصنف الناقلين إلى لغة أخرى كأصحابنا الذين ذكرنا. وإن اختيار المترجم للمعاني ليتصف بالخطورة نظرا لأهميته في المثاقفة وحوار الحضارات وللدور الكبير الذي تلعبه الترجمة في حقل الدراسات القرآنية الاستشراقية.

1 - التراجم والفاصلة وعلامات الوقف في القرآن :

ليس القرآن شعرا ولا نثرا كما هو معلوم، بل هو ضرب من ضروب الكلام لا مثيل له في أي أدب من الآداب، ولم تصح معارضته زمن نزوله أوعبر العصور.

وليس في القرآن من فواصل ونقاط أو غيرها من علامات الترقيم المتداولة سوى تقسيم الآيات، أو ما أضيف إليه من علامات للوقف، وما يتصل بوجوه القراءات وما تستلزمه من وصل وفصل، وإمالة وإشمام وسكت وغيرها. إلا أنه إلى جانب هذه الضوابط المرسومة على النص

القرآني، توجد ظاهرة أخرى وثيقة الارتباط بمنطوقه وهي الفاصلة. وهي حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني، يقول الباقلاني المتوفى سنة 403 هـ : "أما الأمور التي يستريح إليها الكلام فإنها تختلف، فربما كان ذلك قافية وذلك يكون في الشعر، وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان يسمى مقاطع السجع، وربما سمي ذلك فواصل، وفواصل القرآن مما هو مختص به، لا شراكة بينه وبين سائر الكلام" [7]. ويقول عنها الخطيب البغدادي إنها إشارة مضيئة إلى مراكز الثقل في الآية. ولهذه الفواصل أثر بالغ في المضمون، وفي ضبط جوانب المعاني المتعددة من تلخيص، كما في خبر فرعون : ﴿ **فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾ [8]، وتعميم كما في الآية : ﴿ **والله رؤوف بالعباد** ﴾ [9]، وتفسير كما في الآيتين : ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ [10]، و ﴿ **وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ [11] وغير ذلك مما يتطلبه ضروب الكلام من إطارات وقوالب كالظروف والغايات والوسيلة والاستدراك والاستئناف وغيرها. وكل هذه المستلزمات تؤديها فواصل مؤلفة من الأبجدية العربية كما هو الحال في قوافي الشعر وفي الكلام المسجع.

فما مصير هذه الفواصل حين يترجم القرآن إلى لغة غير عربية وأبجدية أعجمية ؟

قد لا تستحيل ترجمة الشعر شعرا، وترجمة السجع باستعمال واستنفاذ المحسنات البديعية والبلاغية، وانتقاء الألفاظ المنغمة، ولن يخلو الأمر رغم ذلك من تصنع وعسر وظلم للنص الأصلي. فإن كان الأمر

(7) الباقلاني، إعجاز القرآن، ط دار الأمين، 1993 ص 79.

(8) النازعات، الآيتان 23 و24.

(9) البقرة، الآية 207.

(10) الأنفال، الآية 43.

(11) الأنفال، الآية 44.

كذلك في النصوص الأدبية العامة، فكيف بالقرآن وهو ليس بشعر ولا بنثر، ولا بسجع مصطنع ؟ كيف ومعانيه مرتبطة أشد الارتباط بألفاظه وموسيقاها، وبتراكيبه واختصارها أوتمططها، وكذلك بهندسة بناء كلماته المتضامنة مع إطاره الظرفي. ولندلل على ذلك بالآية التالية : ﴿ **وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ﴾[12]، ففي هذه الآية، يرى أحد الدارسين أنها تحمل مشهدا مصورا ناطقا متفرعا إلى لغة استنفار الدواب. فبالإضافة إلى الهاء الموصولة في ﴿ **وجاءه قومه** ﴾، (ه و = هو)، يلاحظ الناظر بتأن في كلمة **يهرعون** كيف هي ناطقة متفرعة إلى لغة القوم، وبخاصة حرفي الحلق : الهاء والعين، فالهاء ساكنة قبلها ياء مضمومة "يه" والعين مضمومة مشبعة "عو"، وما بينهما "ر" : "هو" للثيران (هو) و"يه" و"إر" للبغال والحمير و"عو" (يه -ر-عو) بعض من شهيق ونعيق الحيوانات المستنفرة [13].

ولننظر الآن في التراجم، ونحاول بكل دقة إعادة ترجمتها إلى العربية لنتبين مدى نجاحها في نقل هذه الصورة. وسنأخذ على سبيل المثال التراجم الآنفة الذكر.

يقول كشريد : « Son peuple arriva vers lui en courant» وترجمتها : "جاء قومه نحوه جريا".

وترجم بلاشير : Son peuple «accourut en effet à Loth» أي : "قومه ... جروا فعلا إلى لوط".

وترجمتها ماصون : «Son peuple vint à lui, ces gens se précipitèrent vers lui» أي : "قومه جاء إليه، هؤلاء الناس أسرعوا نحوه".

(12) هود، الآية 77.

(13) انظر : الشبعان (محمود) ، أين من القرآن تراجم القرآن ، تونس 1983، ص 33.

وقال بارك : «En effet son peuple afflua vers lui» ومعنى قوله : "وفعلا تدافع نحوه قومه".

وأداها خــوام بما يلي : «Les gens de son peuple s'empressèrent de venir chez lui» : أي : "أناس من قومه سارعوا في المجيء إليه."

وترجـــمـــهـــا كـــازيمرسكي : «Des hommes de son peuple se portèrent en foule chez lui» أي : "رجـال من قومـه انتقلوا جـمـاعـة إلى بيته."

أمــا الصــادق مــازيغ، فـقــد تعـمـد الـزيادة على اللفـظ القـرآني تارة والحذف أخـرى، دون أن يجد ما يسعف مـوقفه لأداء مـدلول الآية بأمانة، فكانـت ترجـمـتـه كـمـا يلي : «Entraînés aux pires turpitudes, des hommes de son peuple assaillaient déjà sa demeure attirés par les nouveaux venus»

بمعنى : "مـدفـوعـون إلى أرذل الخـسـاسـات، رجـال من قـومـه قـد حـاصروا بعـد مـسكنه منجـذبين بالقادمين الجـدد". ولا نحتاج لكبيـر عناء للجزم ببعد كل هذه التراجم عن العبارة القرآنية المختصرة البليغة المصورة الناطقة.

وأمـثلة هذه التـراجم كـثـيـرة، وسندلل على عـدم تطابقـهـا والمراد القـرآني بنـمـوذجين لا على سـبيل الحـصـر وإنما على سـبيل المثال وحـذفـا للإطالة.

يقول القرآن في سـورة البقرة : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسـائكم، هن لباس لـكم، وأنتم لبـاس لهن** ﴾ [14]. وينقلهـا إلى الفرنسية المترجمون الذين أسلفنا كما يلي :

(14) البقرة، الآية 187.

كـــشـــريـد : «Il vous est permis la nuit de jeune d'avoir des
femmes, elles vous rapports avec vos vêtement, et vous êtes un
sont un vêtement pour elles»

أي : "سمح لكم ليلة الصيـام الاتصـال بزوجـاتكم، هن ثـوب لكم وأنتم
لهن ثوب."

أما بلاشير فيترجمها على النحوالتالي : «Durant la nuit du jeune,
pour vous licite de faire galanterie avec vos femmes : je déclare
elles sont un vêtement pour vous et vous êtes un vêtement pour
elles».

أي "طيلة ليلة الصيـام، أعلن لـكم أنه حـلال أن تـغـروا نسـاءكم (أو أن
تتأدبوا مع نسائكم)، هن ثوب لكم وأنتم لهن ثوب".

مـــاصـــون : «La cohabitation avec vos femmes est permise
suit le jeune; elles sont un vêtement pour vous durant la nuit qui
أي : "مـسـاكنة نسـائكم مسـموح et vous êtes un vêtement pour elles»
لكم بها طيـلة الليلة التي تلي الصيام، هن ثوب لكم وأنتم لهن ثوب".

بـارك : Vous est rendu licite, durant une nuit de jeune le
femmes, ne sont elles pas votre vêture et vous la rapport avec vos
leur ?»
أي : "جعل لكم حلال طيلة ليلة الصيام مبـاشرة زوجـاتكم، ألسن ثوبكم
وأنتم ثوبهن".

خـوام : «Je rends licite pour vous le rapprochement avec vos
qui suit un jour de jeune. Elles sont un vêtement femmes, la nuit
pour vous et vous êtes un vêtement pour elles»

أي : "أجعل حلالا لكم الاقتراب من نسائكم الليلة التي تلي يوم صيام، هن ثوب لكم وأنتم ثوب بالنسبة إليهن".

هكذا إذن ترجمت هذه الآيات فاشتملت على أخطاء فادحة على المستويين المعنوي والحكم الفقهي، فقد ترجم الجميع اللباس بكلمة «vêtement» تشبثا بالمعنى اللفظي. ولئن حافظ كل المترجمين على نمط الجملة فإن "بارك" تصرف في الآية بزيادة ما لا تحتمله بجعل الجملة على صيغة استفهام إنكاري، أولعله استفهام يفيد التقرير بقوة : "ألسن بثوبكم ؟"

وهذه التراجم جميعا أفقدت الآية معناها، وإلا فما معنى أن تكون النساء لأزواجهن ثوبا والعكس بالعكس. ولونظرنا في أصل اللغة لتبين لنا أن كلمة اللباس مشتقة من "لبس" بفتح الباء بمعنى : خلط، ومن "لبس" بكسر الباء بمعنى : ارتدى. وعندما نجمع بين المعنيين نحصل على التغطية والستر والالتصاق بالبشرة. يقول ابن كثير المتوفى سنة 774 هـ : "قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حبان يعني هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، وقال الربيع بن أنس هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن وحاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه فناسب أن يرخص لهم في الجامعة في ليل رمضان لئلا يشق ذلك عليهم ..." [15].

أما كلمة «vêtement» الفرنسية فتعني الكسوة الخارجية وهي لا شك تتضمن معنى الستر والحفظ ولكنها خالية من معنى الملاصقة والمباشرة، إذ ثمة فرق بين «vêtement» الذي هو اللباس الخارجي، و «sous-vêtement» اللباس الداخلي. وبذلك نتبين أن هذه الكلمة لا تؤدي المعنى القرآني وهو اللباس. ولعل كلمة «couverture» تكون أفضل

(15) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير ابن كثير، ط دار القلم، بيروت، د.ت، ج 1 ، ص 192.

في هذا المجال إذ تتضمن معنى الغطاء والغلاف، وهي معان متصلة بمعنى اللباس، كما تتضمن معنى المباشرة فتقول : «Couvrir quelqu'un de baiser», ou bien «Le coq a couvert la poule»

هذا فيما يتعلق بالجزء الثاني من الآية، أما الجزء الأول فقد خاض فيه الجميع بأخطاء متفاوتة دون أن يصيب أحد المعنى المقصود. فترجم كشريد "أحل لكم" بـ : «Il vous est permis» وليس الحلال كالمسموح به الذي يناسب في الاصطلاح الفقهي المباح.

وترجم بلاشير "ليلة الصيام" بـ «Durant la nuit de jeune» والمقصود طيلة ليلة الصيام دون تحديد لحرمة الإمساك، كما ترجم كلمة "الرفث" التي تفيد المباشرة والاتصال والقرب بلفظة «Galanterie» التي تفيد الأدب والإسراع بإرضاء النساء، كما أضاف للفظة "أحل لكم" مفردات أخرى وهي : «Je déclare pour vous» التي تعني : أعلن لكم.

ووقعت ماصون في هذه الأخطاء جميعا وزيادة، فـ :"ليلة الصيام" تجعلها "طيلة الليلة التي تلي الصيام" دون اعتبار لمحظورات مواقيت الإمساك، وتضيف إلى لفظ "أحل لكم" المبني للمجهول التعريف بالفاعل فتقول : «Je déclare pour vous» التي تعني "أعلن لكم". وليست "ليلة الصيام" الليلة التي تلي يوم الصيام، وإنما الليلة التي يصبح منها المرء صائما. يقول ابن كثير : "أباح تعالى الأكل والشرب مع ما تقدم من إباحة في الجماع (...) إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل" [16]. أما "الرفث" فترجم بـ : «cohabitation» وهو المساكنة، أو بعبارة أخرى السكن ببيت واحد.

ويقع بارك في أخطاء أخرى من حيث المعنى والأسلوب : فـ : "أحل لكم" ترجمها بـ «Vous est rendu licite» : التي تؤدي معنى "جعل

(16) انظر: ابن كثير، المرجع السابق، ج 1، ص 193، وكذلك تفسير البيضاوي لهذه الآية.

حلالا لكم"، و"ليلة الصيام" المعرفة بالألف واللام الدالة على كل ليلة صيام والتي يصبح المرء منها صائما تصبح «Durant une nuit de jeune» التي تفيد : "طيلة ليلة صيام" نكرة، والمقصود: في ليلة من ليالي الصوم فحسب، يصبح الأمر حلالا، ويصبح معنى الآية صوم بالليل ومباشرة للنساء. ومعلوم لدى الجميع أن الصوم بالنهار لا بالليل.

أما فيما يتعلق بالنصف الثاني من هذا المقطع من الآية فيتغير الأسلوب من أسلوب تقريري : "هن لباس لكم" إلى استفهام إنكاري يظهر في الجملة التالية : «Ne sont-elles pas votre vêture» وكلمة vêture لا تعني اللباس كما أسلفنا، وإنما شيء شبيه بثوب الرهبان. يقول معجم لاروس Larousse فيما يخص هذه المفردة : «Prise d'habit par un religieux ou une religieuse» أي : اتخاذ لباس من طرف راهب أو راهبة (17).

أما خوام فوقع تقريبا فيما وقع فيه سابقوه من خطإ : ف : "أحل لكم" ترجمت بـ «Je rend licite pour vous» :التي تفيد معنى : أجعل حلالا لكم. و"الرفث" ترجمت بكلمة «Rapprochement» وهي تفيد الاقتراب من أو التصالح مع، و"ليلة الصيام" ترجمت بـ : «La nuit qui suit un jour de jeune» أي : الليلة التي تلي يوم الصيام. ولا شك في أن القارئ المتمكن من اللغتين يشعر بالبون الشاسع بين بلاغة وتماسك النص الأصلي، وبين ما تثيره بعض التراجم من حرج وحيرة وعناء في معالجة وفهم المقصود منها في حد ذاتها، لما تحتوي عليه من تكلف واصطناع في التعبير، وفتور في التشخيص، ذلك أن الترجمة مهما كانت جودتها هي في الحقيقة خيانة للنص الأصلي، فضلا عن عدم احتواء اللغة المترجم إليها للوسائل المبلغة للمعنى الدقيق كالضم والفتح والكسر أو المدود والوصل وغيرها. وليس للمترجم سوى براعته الأسلوبية لإبراز التثاقل والبطء

(17) Dictionnaire Larousse, Edition Librairie Larousse, Paris 1979.

والاختصار والتقصير، ولا سبيل إلى ذلك في لغة تقصر عن استيعاب غزارة اللفظ القرآني، فيضطر المترجم إلى الحشو وسرد المترادفات إذا اقتضى الحال الإطالة، وتوخي أقصر العبارات والأسلوب التلغرافي أو البرقي - إن صح التعبير - إذا تعلق الأمر بالإسراع. والعبرة في هذا المجال بمدى قدرة المترجم على نقل الإطار العام للآية والأجواء والملابسات المحيطة بها وإضفائها على العبارة المترجم إليها، وليست بنقل المعنى فحسب.

وإذ تبين لنا فيما سبق عدم نقل المعنى بصفة وفية للنص القرآني وقضاء التراجم على الفاصلة، فإننا نتعرض بالدرس لبعض الآيات التي تفيد معانيها أوجها فقهية متباينة لنقف على مدى إصابة التراجم لمقاصدها.

2 - الترجمة وتعدد الأوجه الفقهية في القرآن :

يعتمد الفقه الإسلامي أساسا على القرآن، ثم على السنة والمصادر التشريعية الأخرى لاستنباط الأحكام الشرعية. وقد اختلف المسلمون في فهم ألفاظ القرآن وأوجه إعرابها، فنتج عن ذلك مذاهب مختلفة ومتعددة اعتمدها المسلمون منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا وهم يقولون إن في هذا التباين يسرا في الدين.

فماذا فعلت التراجم بهذه الاختلافات ؟ وهل تركت الباب مفتوحا للقراءات المختلفة والإعراب المختلف والفهم المختلف ؟

قبل الحكم عليها بالجودة أوبمجانبة الصواب سنأخذ بعض الآيات المعبرة :

يقول القرآن في سورة المائدة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنبا فاطهروا، وإن كنتم مرضى أوعلى سفر أوجاء أحد منكم من الغائط**

أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » [18].

تتضمن هذه الآيات الكثير من الأحكام الفقهية حول الطهارة، وقد اختلف الفقهاء في دلالاتها، فاختلفت طبقا لذلك الأحكام، وسنأخذ مقاطع هذه الآية بشيء من التفصيل.

« فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم، وأرجلكم إلى الكعبين ».

اختلف الفقهاء والمفسرون أولا في إعراب كلمة "أرجلكم" إذ جاز فيها النصب والرفع والجر. وتبعا لذلك كان الحكم : الغسل أوالمسح حسب الإعراب.

فإن نصبت كان غسل الرجلين هوالفرض، ولا يقبل بأي حال المسح لأنها معطوفة على "وجوهكم وأيديكم" وموقعها هنا في الجملة من باب التقديم والتأخير.

وإن جرت جاز المسح لأنها تصبح معطوفة على "رؤوسكم".

وإن رفعت كان الغسل هو الفرض ولا مكان للمسح [19].

أضف إلى ذلك أن الفقهاء قد اختلفوا في كيفية المسح وفي المقدار الممسوح من الرأس. فمنهم من اعتبر المسح على كامل الرأس واجبا آخذا

---

(18) المائدة، الآيات 6 - 7 - 8.

(19) راجع في هذا المجال تفسير البيضاوي للآية 6 من سورة المائدة.

بظاهر الآية [20]. ومنهم من تمسك بوجوب مسح جزء واحد من الرأس لأن الباء في هذا المجال للتبعيض (بعض الرأس) [21].

فماذا فعلت الترجمة بهذه الآية ؟

ترجمت ماصون : «Passez vous les mains sur vos têtes et sur vos pieds» بمعنى : "مرروا أيديكم على رؤوسكم وعلى أرجلكم".

وترجم كازيمرسكي : «Essuyez-vous la tête et les pieds jusqu'aux chevilles» والمقصود : "امسحوا رؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين".

وقال الأستاذ مازيغ «Passez vous les mains sur la tête et sur les pieds» أي : "مرروا الأيدي على الرأس وعلى الرجلين".

وترجم بلاشير : «Passez vous la mains sur la tête et les pieds. jusqu'aux chevilles» بمعنى : "مرروا اليد على الرأس والرجلين إلى الكعبين".

ولا أثر في هذه التراجم لكيفية المسح، ولا للماء الذي يمسح به ! ولئن اتفق الجميع على تمرير اليدين، فإن بلاشير يكتفي بواحدة ! [22]

---

(20) ذلك مذهب المالكية والحنابلة، انظر : الفقه على المذاهب الأربعة، المجلد الأول ، ص 57 وص 61.

(21) ذلك مذهب الحنفية التي تقول بمسح ربع الرأس، انظر : الفقه على المذاهب الأربعة، المجلد الأول، ص ص 56 - 57.

(22) يكثر المترجم من استعمال نقاط التعجب، ربما ليظهر استغرابه من هذه الأحكام القرآنية دون أن يعي المعنى الحقيقي، والواقع أن ترجمته هذه قد أسفرت عن خلط مضحك مدعاة للتعجب.

وهكذا عطف الجميع الأرجل على الرأس وجعلوا حكمها المسح في الوضوء قطعا، بينما الفرض على المذاهب الأربعة هو الغسل. قال القرطبي : "إن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح، وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء، وهوالثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، واللازم من قوله في غير ما حديث" [23].

والنتيجة جمدت التراجم مرونة الآية، وأعطت حكما قطعيا مخالفا لصريح الآية وللسنة، ولإجماع المستنبطين للأحكام دون دليل. وقد يكون للمترجم حجته إذ ليس له أن يوجد في اللغة المترجم لها ما ليس فيها، ولكن رغم ذلك عليه أن يستعمل براعته وحنكته وقدرته على صوغ الجملة في أسلوب يفي بمعناها كأن يعبر عن المفردة إن اقتضى الحال بجملة أو جمل.. وقد تمكن الأستاذ محمد حميد الله من احترام مدلول الآية بإضافة بعض اللفظات فترجم :

«Et passez les mains mouillées sur vos têtes, et lavez vous les pieds jusqu'aux chevilles» والمعنى : "مرروا الأيدي على رؤوسكم مبللة واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين". وما ذهب إليه المترجم يتفق ومنطوق الآية إلا أنه رغم ذلك يقضي على تفتح الآية القرآنية وقابليتها للاستنباط وإن احترم إجماع العلماء المسلمين في السابق واللاحق.

﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾

الجنابة مصطلح قرآني فقهي اختص به الإسلام. ومن مفاهيمه حسب لسان العرب :

---

(23) انظر : تفسير القرطبي للآية 6 من سورة المائدة.
الفقه على المذاهب الأربعة، المجلد الأول، ص ص 56 -61.
تفسير ابن كثير، المرجع السابق، ج 2، ص 24.

الغرابة : فيقال : رجل جانب وجنب، أي غريب، أجنبي. والبعد : كما في القرآن ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾[24]. والقرب : كما في الآية ﴿ **يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله** ﴾[25]. والناحية أو المكان : كما يقال : الناس جنب والأمير جنب[26] الخ ...

هذا من الناحية اللغوية، أما من الناحية الاصطلاحية فالجنب هوعكس الطاهر، وتكون الجنابة بالإنزال أو بالجماع. قال ابن الأثير : "هو الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المني"[27].

وقال القرطبي : "هو غير الطاهر من إنزال أو مجاوزة ختان"[28].

وقال الأزهري : "الجنب هو الذي نهي أن يقرب الصلاة ما لم يتطهر"[29].

وفي كل هذه المعاني تقول الترجمة :

ترجم خوام وبلاشير : «Si vous êtes en état de pollution ! » والمعنى : "إذا كنتم في حالة تلوث".

وكتب حميد الله : «Et si vous êtes pollués» وترجمتها : "إذا كنتم ملوثين".

---

(24) إبراهيم، الآية 35.

(25) الزمر، الآية 56.

(26) انظر لسان العرب، طبعة دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت 1988، مادة جنب، ج 1، ص 509.

(27) انظر لسان العرب، "طبعة دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت 1988، مادة جنب، ج 1، ص 509.

(28) انظر تفسير القرطبي، الآية 7 من سورة المائدة.

(29) انظر ابن منظور، ج 1، ص 509.

وترجم كـازيمرسكي : «Après la cohabitation avec vos épouses» التي تفيد : "بعد المساكنة مع زوجاتكم".

وترجمت ماصون : «Etat d'impureté légale»، أي : "حالة تدنس شرعي".

أما مازيغ فترجم : «Etat d'impureté»، أي : "حالة تدنس".

والملاحظ أن المترجمين قد سلكوا كل مسلك دون أن يهتدوا إلى ما يفيد بعض معنى الآية. فليس الأمر متعلقا بالتلوث كما ذهب إلى ذلك كل من بلاشير وحميد الله، ولا بالمساكنة كما ذهب إلى ذلك كازيمرسكي، ولا بالتدنس الشرعي، وأي معنى يفيد هذا التدنس الشرعي ؟ ! وهل ثمة في مجال الإسلام ما يفيد التدنس اللاشرعي ؟ «Impureté illégale».

أو لامستم النساء :

ملامسة النساء عند الفقهاء تفيد الجماع ونشدان اللذة، فقد ذكر ابن منظور والجوهري للملامسة معنيين : معنى مجازيا يكنى به عن الجماع، ومعنى حقيقيا ويقصد به المس [30]. وذهب النسفي والبيضاوي إلى أن معنى الملامسة هو الجماع. كما قال الطبري في شرح هذه الآية : ﴿ **أو باشرتم النساء بأيديكم** ﴾ [31].

وقد اقتصر المترجمون على معنى المس دون الملامسة فترجموا كما يلي :

بلاشير : «Ou vous avez caressé vos femmes» بمعنى : "أوداعبتم نساءكم".

---

(30) انظر ابن منظور، ج 5، ص 394 مادة لمس.

(31) انظر الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، طبعة حلبي، القاهرة 1961، الآية 6 من سورة المائدة.

أما كازيمرسكي، فلئن أدت ترجمته معنى الجماع، فإنه حرف الجمع المعرف إلى مفردة نكرة، وجعل من الآية وكأنها دعوة سافرة لاقتراف الزنى فقال : «Ou lorsque vous avez eu commerce avec une femme»

ولم يحد بارك عن هذا المعنى ولئن احتفظ بصيغة الجمع للنساء ولكن نكرة ! مع تبسيط لقضية الملامسة، فكانت ترجمته : «Ou avez touché à des femmes»، بمعنى : "أولمستم نساء".

فتيمموا صعيدا طيبا :

سنحاول شرح هذه المصطلحات الثلاث لنقف على مدى توفق أو خطإ المترجمين في نقل هذا الجزء من الآية.

تيمم يتيمم تيمما : قصد وتوجه نحوشيء بعينه. وهذا المعنى هو المقصود في الآية، ولكن الفقه جعل لهذا المصطلح معنى عباديا مخصوصا عرف بالتيمم الشرعي، وهو كيفية المسح على الوجه والكفين بعد ملامسة صعيد طيب للتطهر المعنوي قبل أداء الصلاة في حالة المرض المانع من استعمال الماء أوفي حالة عدم وجود الماء.

صعيدا : والصعيد في اللغة هو وجه الأرض دون اعتبار لنوعية تربته أو لما يغشيه. أما في الاصطلاح فهو : الأرض وما يكونها من مواد أصلية كالتراب والحجارة بأنواعها والمعادن على حالتها. ورد في كتب الفقه : الصعيد الذي يتيمم به "التراب الطاهر وكل ما كان من جنس الأرض، كالرمل والحجر والجص (...) وقد أجمع أهل اللغة، على أن الصعيد وجه الأرض ..." (32).

طيبا : قال الفقهاء : بمعنى طاهرا حلالا طبيعيا (33).

(32) السيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، المجلد الأول، ص 97.

(33) انظر أقوال أصحاب المذاهب في كتاب : الفقه على المذاهب الأربعة، المجلد الأول، ص 160.

ونأتي الآن إلى الترجمة، إذ قال بلاشير في هذا المقطع من الآية : «Recourez à du bon sable» بمعنى : "التمسوا ترابا جيدا."

وقال كازيمرسكي : «Du sable fin et pur» مسقطا لفظة "فتيمموا"، والمعنى : تراب رقيق وطاهر، ويحتمل المعنى أيضا "صاف" أو"خالص".

أما مازيغ فقد قصر المعنى على صخرة ملساء وطاهرة، معطلا الحكم لمن لم يجد مثل هذه الصخرة للتيمم، فترجم : «Une roche pure et lisse».

وقالت ماصون : «Du bon sable»، أي : "تراب طيب أوجيد".

وقال بارك : «Utilisez en substitution un sol sain pour en passer sur votre visage et vos mains» والمراد : " استعملوا عوضا لذلك أرضا طيبة لتمرروها على وجهكم وأيديكم".

﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾.

سنقتصر في هذا المجال على المقطع الخاص بكيفية التيمم لأنه هوالذي يعنينا بالدرجة الأولى.

يقول الفقهاء عن كيفية التيمم : "... ويضرب بيديه الصعيد الطاهر، ويمسح بهما وجهه ويديه إلى الرسغين. ولم يرد في ذلك أصح ولا أصرح من حديث عمار رضي الله عنه قال : أجنبت فلم أصب الماء فتمعكت [34] في الصعيد وصليت، فذكرت ذلك للنبي (...) فقال "إنما كان يكفيك هكذا" وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض "وتنفخ

(34) بمعنى تمرغت.

فيهما "ثم مسح بهما وجهه وكفيه" رواه الشيخان. وفي لفظ آخر "إنما كان يكفيك أن تضرب بكفيك في التراب، ثم تنفخ فيهما، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك إلى الرسغين" [35].

فإلى أي مدى احترمت التراجم هذه المعاني ؟

ترجم بلاشير : «Du bon sable et passez vous en sur votre visage et sur les mains»، أي : "تراب جيد ومرروه على وجهكم وعلى اليدين". ويلاحظ أنه فهم الخطاب الجماعي للمؤمنين بصيغة المفرد حيث يستعمل : «votre visage». وترجمت ماصون : «Du bon sable que vous passerez sur vos visages et sur vos mains» والمعنى : تراب جيد تمررونه على وجوهكم وعلى أيديكم".

فإن اكتفى المترجمان الأولان برمي التراب على الوجه واليدين، فإن كازيمرسكي لا يرضى إلا أن ندلك وجوهنا وأيدينا بتراب رقيق ونظيف أوصاف ولعل العبرة بالتصاق التراب بالبشرة ! فيقول : «Frottez vous le visage et les mains avec du sable fin et pur». والمعنى : "ادلكوا الوجه واليدين بتراب رقيق وصاف".

أما خوام فلا يريد إلا أن نصب على وجوهنا وأيدينا صبا ترابا جيدا ! ولا ندري أنغمض أعيننا أم نتركها تأخذ نصيبها من الطهارة ! فيقول : «Utilisez du bon sable que vous ferez couler sur votre visage et vos mains»، وترجمة ذلك : "استعملوا ترابا جيدا تصبونه على وجهكم وعلى أيديكم" موجها الخطاب مثل بلاشير للمفرد والدليل على ما نذهب إليه استعماله «Votre visage».

وعلى هذا المنوال سار مازيغ في ترجمته للآية [36].

---

(35) السيد سابق، فقه السنة ، المجلد الأول ص ص 97 - 80.

(36) رغم أصله العربي ومعرفته المتوقعة بأحكام التيمم.

وللقارئ أن يتصور بعد هذا المسلمين يعفرون وجوههم وأيديهم في التراب بين رام وصاب منه على وجهه وعلى يديه، وبين دالك لوجهه ويديه به ! علما بأن كل هذه التراجم مهداة لغير المسلمين ليتعرفوا على القرآن، أو للمسلمين الذين يجهلون اللغة أولا يتقنونها.

وغني عن البيان أن القرآن لم يشترط رقة التراب أوملامسة الصخر، ولا حصر الصعيد في التراب ولا في الصخر، وما أتى برمي أوصب التراب على الوجه واليدين، ولا بدلك أعضاء التيمم بالتراب.

وقبل أن نمر إلى أمثلة أخرى من هذا القبيل نريد أن نطلع القارئ على ترجمة كلمة "الغائط" القرآنية : فهي "المكان السري" ! ومن يدري ما يكون ؟ ! ولا ماذا يعني في ذهن من لا يعرف الكلمة العربية، وما علاقة المكان السري برمي التراب على الوجه ؟ ! هذا بالنسبة إلى بلاشير الذي ترجم المصطلح بـ : «Lieu secret». أما بالنسبة إلى ماصون فهي «Lieu caché» بمعنى "مكان خفي". وترجمها كشريد «Son lieu d'aisance» أي : "مكان راحته". والغائط عند خوام [37] هو : «Lieu retiré» أي :

(37) نود أن ندرج في هذا المجال ترجمة خوام لهذه الآية، وسنحاول ترجمتها إلى العربية بما أمكننا من موضوعية يقول :

- vous qui avez cru, quand vous allez réciter l'office de prières, lavez votre visage et vos mains jusqu'aux coudes, passez votre main sur votre tête et vos pieds jusqu'aux chevilles . Si vous êtes en état de pollution , purifiez-vous, . Si vous êtes malades ou sur le point de partir en voyage, ou si quelqu'un d'entre-vous vient du lieu retiré, ou si vous avez touchés les femmes, et ne trouvez pas d'eau pour vos ablutions, utilisez du bon sable que vous ferez couler sur votre visage et vos mains. Certes Dieu ne veut pas vous imposer une gène, mais il veut vous purifier et compléter son bienfait pour vous. Peut-_ "être serez-vous reconnaissants» .

وترجمتها : "يا من آمنتم، عندما تذهبون لعرض ورد الصلوات، اغسلوا وجهكم وأيديكم إلى المرافق، مرروا يدكم على رأسكم وأرجلكم إلى الكعبين، إذا كنتم في حالة تلوث، نظفوا أنفسكم، إذا كنتم مرضى أو على وشك السفر، أو إذا يأتي أحدكم من المكان المنزوي، أو إذا لمستم النساء ولا تجدون الماء لوضوئكم، استعملوا ترابا جيدا تصبونه على وجهكم وأيديكم. لا شك الإله لا يريد أن يفرض عليكم حرجا ولكن يريد تطهيركم وإكمال خيره لكم لعلكم ستعترفون بالفضل".

"مكان منزو". أما بارك فقد ترجم «Ou revenez de la selle» والمراد : "تعودون من البراز" ولعلها الأقرب إلى الصواب.

نلاحظ إذن أن التراجم قد ذهبت كل مذهب دون أن تعرف طريقا للمعنى الصواب بين "مكان سري" أو "مكان خفي" يوحي بالمخبإ، و"مكان راحة" قد يظنه القارئ قصرا أوبيتا مريحا و"مكان منزو" موح بمنسك.

لئن أفادت بعض آيات القرآن أوجها فقهية متباينة بنى على أساسها الفقهاء مذاهبهم، فإن أخرى أفادت معاني كثيرة جعلت المفسرين يختلفون في دلالاتها، وقد ارتأينا أن ننظر في بعضها لنتبين كيف كان موقف المترجمين منها.

3 - الترجمة وتعدد المعاني القرآنية :

إن للآيات القرآنية أحيانا معاني متعددة قد يتعذر شحنها في الترجمة نظرا للفوارق اللغوية بين اللغات أو لعجز المترجم في معالجة النص. ومن هذا القبيل نذكر على سبيل المثال لا الحصر الآية التالية : **﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ﴾** (38). والذي يعنينا في هذه الآية هو مقطع : "شهيدا على".

ذكرت معاني الشهادة 156 مرة في القرآن مفيدة لمعاني عديدة متقاربة في جملتها وبعبارات مختلفة، منها : شهد على : كما في الآية : **﴿ شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ﴾** (39). وشاهدا على : كما في الآية : **﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم ﴾** (40).

(38) النحل، الآية 89.

(39) الأحقاف، الآية 10.

(40) المزمل، الآية 15.

وأشهد على : كما في الآية : ﴿ **فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم** ﴾[41]. وشهداء على : كما في الآية : "﴿ **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾[42].

وفي معنى الشهادة يقول لسان العرب نقلا عن ابن سيده : "الشاهد : العالم الذي يبين ما علمه (...) وأشهدتهم عليهم واستشهدتهم سألتهم الشهادة (...) وشهد فلان على فلان بحق، فهو شاهد وشهيد (...) وشهد له بكذا أي : أدى ما عنده من شهادة." [43].

وشهد تفيد أيضا الحضور والمعاينة كما في الآية ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾[44]، أو كقولك : شهد الحفل.

وشهد لـ : بمعنى شهد لصالح فلان بشيء معين كقولك شهد له بالأمانة أو بالعلم، أو بالكفاءة.

وشهد على تفيد شهد ضده بمعنى عكس مصلحته كقولك : شهد عليه بالجهالة، أو شهد عليه بالإجرام، كما تفيد معنى الشهادة بما رأى أو بما سمع، أو بما حصل دون اعتبار للمصلحة ودون انحياز لجانب المشهود له أو إغراق لجانب الخصم.

فإلى أي مدى حافظت التراجم على هذه المعاني ؟

ترجم خوام : «Le jour où nous ressusciterons en chaque communauté un témoin parmi eux pris au milieu d'eux-mêmes, nous te présenterons, toi comme témoin contre ceux-ci».

(41) النساء، الآية 6.

(42) البقرة، الآية 143.

(43) ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 374، مادة شهد.

(44) البقرة، الآية 185.

والمعنى : "اليوم الذي نبعث في كل جماعة شاهدا ضدهم أخذ من وسطهم أنفسهم - سنقدمك أنت - شاهدا ضد هؤلاء".

وترجم بارك : «Au jour où sur toute communauté, nous susciterons un témoin contre eux venu d'eux-mêmes et te produirons comme témoin de ceux-ci»

أي : في اليوم الذي على كل جماعة نجعل شاهدا ضدهم أتى منهم أنفسهم وسنأتي بك شاهدا على هؤلاء".

وترجم كازيمرسكي : «Un jour nous susciterons du sein de chaque peuple un témoin qui déposera contre lui, et toi ô Muhammad ! nous t'instituerons témoin chargé de déposer contre les Arabes» والمقصود من كلام المترجم : "في يوم سنجعل من وسط كل قوم شاهدا يشهد ضده، وأنت يا محمد سنعهد إليك بمهمة الإدلاء بالشهادة ضد العرب".

وترجمت ماصون : «Comme le jour où nous enverrons à chaque communauté un témoin contre eux choisi parmi eux, nous t'avons suscité comme témoin contre ceux-ci» أي : "كمثل اليوم الذي نبعث فيه لكل جماعة شاهدا ضدهم اختير من بينهم وقد اخترناك شاهدا ضد هؤلاء".

وترجم كشريد : «Le jour où nous susciterons de chaque nation un témoin contre eux de leur propre race et que nous t'amènerons comme témoin contre ceux-ci: les Arabes . » والمعنى : "اليوم الذي نجعل من كل أمة شاهدا ضدهم من ذات جنسهم وأن نأتي بك شاهدا ضد هؤلاء : العرب".

وترجم مازيغ : «Tu sera requis pour déposer contre ton peuple» أي : "سيقع تعيينك للشهادة ضد قومك".

الملاحظ أن هذه التراجم جميعها قد اتفقت على جعل كافة الأنبياء والرسل شهداء ضد أقوامهم، محملين بذلك الشاهد غير ما حملته الرسائل الموحدة، جاعلين من الرسول خصما مبينا متربصا بقومه، ضاربين عرض الحائط بخصائص الشهيد وهي الموضوعية والأمانة وعدم التحيز ولو كان ذا قربى. هذا فيما يتعلق بالمعنى. أما عن الخلط والاضطراب في التراجم من الناحية اللغوية والأسلوبية فكثيرة : إذ أن الزمن في بعضها ماض وفي الأخرى مستقبل، والمصطلحات غير مضبوطة، وزيادة الألفاظ البعيدة عن مدلول الآية كثيرة، كما أن استعمال التنكير والتعريف في غير محله وغير مطابق للآية. أما عبارة "هؤلاء"، فقد أولها البعض بجنس العرب، والبعض الآخر بالقوم، ولا دليل لأحد على ما ادعى.

لئن كانت بعض الآيات القرآنية موضوع خلاف عند الدارسين لتشعب معانيها أو لاحتمالها لأوجه فقهية متعددة فإن أخرى تفيد عكس، أوغير المعنى الظاهر، المتبادر للذهن من منطوقها، فكيف أدتها التراجم ؟

4 - الترجمة وعكس المنطوق من القرآن :

وردت في القرآن تعابير يفيد منطوقها شيئا، ومدلولها عكس ذلك، أو المعنى المتعارف عليه ومعاني أخرى إضافية. وسنتعرض لبعض الآيات من هذا القبيل لنرى كيف تصرف فيها المترجمون.

1 - تقول الآية 184 من سورة البقرة فيما يتعلق بالصيام : "وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين".

وقد أجمع المفسرون والفقهاء على أن الطاقة والإطاقة في هذه الآية تفيد عكس معناها المتداول (أي القدرة) وهي غاية المشقة وعدم القدرة،

وحكم من لم يستطع الصوم لشدة المعاناة هو إطعام مسكين [45]. فكيف فهمها المترجمون ؟

قال خوام : «A ceux qui peuvent jeûner et qui s'en abstiennent il y aura un rachat : la nourriture d'un indigent» والمراد : "إلى الذين يستطيعون الصوم ويمسكون عنه، سيكون هنالك تعويض : إطعام محتاج."

وقال بلاشير : «A ceux qui peuvent jeûner (mais ne le font point) incombe un rachat, la nourriture d'un pauvre». والمعنى : "إلى الذين يستطيعون الصوم (ولا يفعلونه البتة) يتعين عليهم عوض : إطعام فقير".

وقال بارك : «A ceux qui en sont capables (mais le rompent) incombe comme rançon de nourrir un pauvre». والمقصود : "إلى الذين يقدرون عليه، (ولكن يفطرونه)، يتعين عليهم كدية إطعام فقير".

وقال كازمرسكي : «Ceux qui pouvant supporter le jeune le rompent donneront à titre d'expiation la nourriture d'un pauvre» ومتى ترجمنا ذلك تحصلنا على الجملة التالية : "الذين هم يستطيعون تحمل الصوم ويفطرون يعطون على سبيل الفدية طعام فقير".

خلاصة القول في ترجمة هذه الآية، للقادر على الصوم ويفطر، وللمستطيع للصوم الممسك عنه، وللقادر على الصوم المعفي لنفسه بنفسه، على حد تعبير هذه التراجم، يحكم المترجمون الخمسة بالإجماع بإطعام

(45) انظر عبد الرحمان الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة ، طبعة دار الفكر، (دون ذكر للمدينة) 1986، المجلد الأول، ص ص 542 - 547، وكذلك ص 560.

مسكين ضاربين صفحا [46] عن إجماع المفسرين والفقهاء المسلمين في فهم الآية وفي حكمهم عن المفطر عمدا بصيام شهرين متتاليين [47].

أما المثال الثاني الذي سنهتم به فيتعلق بالآية التالية : ﴿ **إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ [48].

وقد ذهب المفسرون إلى أن معنى كلمة "ما فوقها يفيد" : ما فوقها ضعفا وحقارة. يقول ابن كثير في شرحها : "فما دونها في الصغر والحقارة، كما إذا وصف لك رجل باللؤم والشح، فيقول السامع نعم وهو فوق ذلك - يعني فيما وصفت - وهذا قول الكسائي وأبي عبيد، قاله الرازي وأكثر المحققين" [49]، لأن البعوضة يجتمع فيها على ضآلة حجمها آيات الخلق ومقومات الحياة. فهي كائن يحيا ويسعى للحياة، وله طاقات وأجنحة تطيره، وعيون وقدرة ذاتية تسيره وترعاه. ومدار الحديث في هذه الآية حول ضآلة الكائن وما يشتمل عليه من عجائب الخلق، وكلما كان الكائن الممثل به أحقر، كانت الحكمة أعظم. وإلا فلم اختار القرآن البعوضة ولم يختر الفيل إن كان المراد عظم الحجم ؟

فما عسى التراجم أن تقول في هذا الصدد ؟

ترجم خوام : «Dieu n'a pas honte de présenter comme moucheron quelconque, et aussi l'état d'un argument l'état d'un animal plus volumineux».

---

(46) لا يفهم في هذا المجال خصوصا قيمة ادعائهم جميعا الرجوع إلى التفاسير وكتب الفقه، وما قال أحد من هؤلاء بمثل ما قال به المترجمون !

(47) انظر المرجع السابق ص 560.

(48) سورة البقرة، الآية 26.

(49) ابن كثير، (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، دار القلم، بيروت، طبعة ثانية، د.ت، ج 1، ص 60.

أي : "الإله لم يخجل أن قدم كحجة (كدليل) حالة أي ذبابة وكذلك حالة حيوان أكبر حجما".

وقال بارك : Dieune répugne pas à tirer semblance [51] d'un [50] ciron nide ce «qui le dépasse» والمعنى : "الإله لا يشمئز من التمثيل بحشرة ولا بما فوقها".

أما كازيمرسكي فعبر عن فحوى الآية بقوله : Dieu ne rougit pas d'offrir en parabole un moucheron ou quelque autre objet plus relevé. بمعنى : "الإله لا يحمر وجهه خجلا لتقديم ذبابة صغيرة كمثل أو أي شيء آخر أعلى (منها)".

وتجدر الإشارة إلى أنه جعل كلمة ما فوقها شيئا جامدا «objet» نعته بكلمة «Relevé» التي استغربنا سوقها في هذا المجال. وبعد النظر في المعاجم تبين لنا أنها لا تفيد بأية حال من الأحوال أكبر حجما، أوأعلى في سلم المخلوقات، ولعل المترجم أراد . «élevé» ثم إن هذه الكلمة مبهمة لا توضح أيفوق المشبه به المشبه قوة أم حجما أم حركة الخ ...

وذهبت ماصون إلى مثل ما ذهب إليه كازيمرسكي فقالت : «Dieu ne répugne pas à proposer en parabole un moucheron ou quelque chose de plus relevé» والمعني : "الإله لا يحمر وجهه خجلا لاقتراح ذبابة صغيرة كمثل أوأي شيء آخر أعلى (منها)".

وفسرها كشريد بقوله : «Dieu n'a pas honte de citer en parabole un moustique ou quelque chose de plus grand» وترجمتها : "الإله لا يخجل لذكر حشرة كمثل أوأي شيء أكبر منها".

---

(50) لا يوضح المترجم أيفوقها قوة أم ذكاء أم حجما أم حركة الخ...

(51) يلاحظ عدم احتواء المعاجم الفرنسية على هذه اللفظة.

ولم يشذ عن هذا الفهم إلا الأستاذ مازيغ الذي ترجم على صواب :
«Il ne saurait répugner à Dieu de proposer en parabole un moucheron ou quelque autre insecte» أي : "أي حشرة غيرها" ومع ذلك دون توضيح لصغر حجمها بالمقارنة مع الأولى.

إن التشابه في التراجم يتجاوز في كثير من الأحيان مستوى المعاني إلى مستوى الألفاظ والأساليب مما يجعلنا نقر عن وعي - ورغم خطورة ما نذهب إليه - بنقل المترجمين عن بعضهم البعض أحيانا حرفيا دون تفكير في معاني النص الذي يترجمون، ودون الرجوع إلى المصادر. ففي هذه الآية مثلا نلاحظ استعمال نفس الترجمة على مستوى الألفاظ والمعاني، كجعل الحيوان الممثل به شيئا جامدا واستعمال كلمة «relevé» للدلالة على ما هو أكبر بالنسبة لكازيمرسكي وماصون ! واتفاق الجميع على أن الحيوان المشبه به أكبر حجما من المشبه.

رأينا فيما سبق كيف حادت التراجم عن معاني الآيات بسبب التواء المعاني أوبسبب قصور اللغة المترجم إليها عن إيجاد مترادفات تفي بمدلول الآية أوبسبب عجز المترجم ذاته عن تأدية المعنى. وإذ استعمل القرآن أساليب متعددة منها التقديم والتأخير، تطرقنا إلى بعض الآيات المشتملة على هذا الأسلوب لنتبين كيف ترجمت.

5 - الترجمة والتقديم والتأخير في القرآن :

من المسلم به أن كل تغيير في القواعد الجوهرية لأي نص هوتغيير لذاتيته وتبديل لماهيته. وقد اهتممنا بموضوع التقديم والتأخير في النص القرآني وكيفية تعامل المترجمين مع الآيات المحتوية على مثل هذا الأسلوب نظرا لكثرة استعمال القرآن له، وللدلالة على دور الترجمة في حوار الأديان والحضارات ونشر الثقافات. واجتنابا للإطالة نتناول بالدرس هذين المثالين :

أما الأول فيتعلق بالآية 185 من سورة البقرة : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾.

والحديث في هذه الآية مختص بشهر الصيام، فهومسند إليه مبتدأ مكانته الرفع، وهو القطب، وكل ما بعده تابع له، متعلق به يدور في فلكه. وكلمة ﴿ **شهد الشهر** ﴾ تعني حضر وكان حيا قادرا على صومه. يقول ابن كثير : "حتم على من شهد الشهر، أي كان مقيما في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن يصوم لا محالة ..." [52]

ونأتي الآن إلى التراجم لنرى كيف نقلت هذه المعاني إلى الفرنسية :

ترجمت ماصون : «Le Coran a été révélé durant le mois de Ramadan, c'est une direction pour les hommes : une manifestation claire de la direction et de la loi, quiconque verra la nouvelle lune jeûnera le mois entier» بمعنى : "القرآن أوحي به طيلة شهر رمضان، إنه وجهة للناس : تجلية واضحة للوجهة والشريعة، أي واحد شاهد الهلال الجديد يصوم الشهر كاملا".

إن قلب الأسلوب في هذه الآية والتصرف فيها بالتقديم والتأخير أخل إخلالا كبيرا بمعنى الآية. فشهر رمضان لم يعد هو المحور الذي يدور عليه الكلام، وإنما أصبح مسألة ثانوية ملحقة بموضوع آخر جعل أساسا وهو القرآن، وشهود الشهر الذي هو الحضور ترجم بمعنى شاهد أورأى. كما تحصر الترجمة مدة نزول الوحي الذي يزيد عن عشرين سنة في شهر رمضان، بل في هلال رمضان !

وعبر كازيمرسكي عن معناها بقوله : «La lune de Ramadan dans laquelle le Coran est descendu d'en haut pour servir de direction

(52) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 189.

aux hommes, pour leur en donner une explication claire, et de distinction entre le bien et le mal, est le. temps destiné à l'abstinence. Quiconque aura aperçu cette lune se proposera aussitôt à jeûner...» وترجمة ذلك : "هلال (أو قمر) رمضان الذي نزل فيه (أو في وسطه أوفي جوفه) القرآن من أعلى ليصلح وجهة الناس - ولكي يعطيهم ضمنه تفسيرا واضحا، وليكون فاصلا بين الخير والشر - هو الوقت المخصص للإمساك. فأي واحد قد يشاهد هذا القمر يمتثل في الحين للصوم".

لقد حاول هذا المترجم أن يحافظ على الهندسة اللفظية للآية فابتدأ ترجمته بشهر رمضان، لكنه وقع في أخطاء فادحة في معنى الآية، وحملها ما لا تحتمل من المدلولات والتراكيب الإضافية، فجعل الشهر هو الهلال، وهوبمثابة الوعاء الذي سقط القرآن في جوفه. وكلمة "أنزل" ترجمت بـ : "نزل من أعلى (بنفسه)"، ولا يفهم ما محل قوله «est le temps destiné à l'abstinence» من الإعراب من ناحية المعنى ؟ وما الذي تترجم عنه في الآية ؟ وعبارة "شهد" بمعنى حضر، أفادت في هذه الترجمة معنى رأى أوشاهد. أما عبارة "فليصمه" الدالة على صيام شهر رمضان كاملا فإنها أبدلت بـ : "فليمتثل (أوليتهيأ) في الحين للصوم، ولا تفصح الترجمة عن مدة الصوم أتكون يوما أم شهرا أم سنة أم دهرا !

أما بلاشير [53] وبارك فقد وفقا نسبيا في أداء معنى الآية. يقول بارك : «Le mois de Ramadan est celui pendant lequel fut commencé la descente du Coran, en tant que guidance pour les hommes et que preuves ressortissant de la guidance et de la démarcation (entre le bien et le mal). Quiconque parmi vous sera témoin de la naissance de ce mois le jeûnera.» أي شهر رمضان هو الذي فيه بدأ تنزيل (أو

(53) ترجم بلاشير كلمة "الفرقان" بلفظة «Salvation» التي أراد بها "الإنقاذ" وهي من نحت المترجم إذ لا وجود لها في المعجم الفرنسي.

نزول) القرآن كهداية للناس وحجة دالة على الهداية والتفرقة (بين الخير والشر) فمن كان منكم شاهدا على ولادة هذا الشهر يصمه [54].

أما المثل القرآني الثاني الذي استأثر باهتمامنا فيتعلق بالآية 72 من سورة "فاطر" ﴿ **ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود** ﴾. والغرابيب في اللغة جمع غربيب، وهذه اللفظة صيغة مبالغة للدلالة على شدة السواد كقولك أحمر قان، وأصفر فاقع الخ... وفي لسان العرب : أسود غرابي وغربيب : شديد السواد. ويستشهد ابن منظور على هذا المعنى من كلام العرب بالحديث النبوي : "إن الله يبغض الشيخ الغربيب" ويضيف شارحا معناه : "هو الشديد السواد، وجمعه غرابيب" [55]. ولعله الذي سودته كثرة المعاصي أو الذي يسود شيبه [56].

فكيف كانت التراجم ؟

قدم البعض اللون على النعت فترجم ماصون وبلاشير : «d'un noir profond» وأداها مازيغ بمعنى : «d'un noir foncé»، وترجمها حميد الله : d'un noir corbeau، وقدم بارك النعت على اللون فترجم: «Ténébreuses noirceurs». أما كازيمرسكي - صاحب القاموس العربي الفرنسي - فقد جنح به الخيال بعيدا عن معنى الآية فترجم هذا المقطع منها بـ : «Il y a des corbeau noirs» أي : "ثمة غربان سود" ولا يفهم ما علاقة وجود الغربان السوداء بوصف ألوان الجبال ؟ أما جمع غراب فهو غربان وليس غرابيب التي هي جمع غربيب !

أبرزنا في الأمثلة المدروسة المتقدمة كيف اهتمت التراجم القرآنية حينا بالمعنى وأحيانا باللفظ، دون إحكام وضبط للمعاني، فلم تكن وفية

---

(54) لم نعثر على هذه اللفظة في المعجم الفرنسي.

(55) لسان العرب، ج 4، ص 969 مادة غرب.

(56) لسان العرب، ج 4، ص 969 مادة غرب.

للنص، وقد لاحظنا أنها في مواضع أخرى حادت عن اللفظ والمعنى معا. فأين يتجلى ذلك ؟ وما هي المضاعفات الفكرية والحضارية لهذه الترجمة؟

6 - حياد التراجم عن اللفظ والمعنى معا :

لقد أفلح بعض المترجمين في تأدية بعض معاني من القرآن حينا وفشلوا في مواضع تاركين وراء هذا الفشل صورة قاتمة وشبهات حول الحضارة العربية الإسلامية. وللترجمة دورها الفعال في دفع الجدال وفي نقل التصورات والمفاهيم للغات الأخرى لإذكاء الحوار بين الأديان والحضارات.

والأمثلة التي سنهتم بها في هذا المجال يتعلق بعضها بالعلاقات بين الأزواج في القرآن إذ شكل هذا الموضوع عبر الأزمان قضية جدلية بين المفكرين بمختلف مشاربهم، وبعضها الآخر يتعلق بموضوع خلق الإنسان الذي وردت في شأنه آيات قرآنية لافتة للانتباه. فكيف نقل المترجمون المعاني المتصلة بهذين المجالين ؟

لئن تعددت الآيات المتعلقة بموضوعنا الأول، فإننا سنقصر بحثنا على دراسة نموذج واحد منها تجنبا للإطالة.

يقول القرآن : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ [57]. ورد في لسان العرب في تفسير معنى القوامة : "الرجال قوامون على النساء إنما هو من قبيل قولهم قمت بأمرك، بمعنى الرجال مكلفون بأمور النساء معنيون بشؤونهن" [58]. فكيف فهمها المترجمون ؟

---

(57) النساء، الآية 34.

(58) ابن منظور، لسان العرب ، ج 12 ، ص 503.

ترجم كـازيمـرسكي هـذه الآية : «Les hommes sont supérieurs aux femmes à cause des qualités par lesquelles Dieu a élevé ceux-là au-dessus de celles-ci et parce que les hommes emploient leurs biens pour dôter les femmes.» أي : الرجـال مـتـفـوقـون على النسـاء بسـبب الخـصـال التـي رفع الإله بهـا هؤلاء (الـرجـال) على هؤلاء (الـنسـاء) ولأن الرجال يستعملون أمتعتهم لإمهار النساء" .

وترجـمـهـا بلاشيـر : «Les hommes ont autorité sur les femmes» بمعنى : "للرجال سلطة (نفوذ) على النساء".

ونقلهـا خـوام كمـا يلي : «Les hommes ont le pas sur les femmes à cause de la préférence que Dieu a manifesté pour les uns sur les autres, à cause aussi de ce que dépensent les hommes pour la subsistance des femmes». والمعنى : الرجـال مـتـفـوقـون علـى النسـاء بسبب التفضيل الذي أظهره الإله للبعض على الآخـرين، وكذلك بسـبب ما ينفق الرجال للإبقاء على حياة النساء. (أولسد حاجيات النساء)".

وأدت مـاصـون مـعـناهـا بـ : «Les hommes ont autorité sur les femmes en vertu de la préférence que Dieu leur a accordée sur elles, et à cause des dépenses qu'ils font pour assurer leur entretien» أي : "للرجال سلطة على النسـاء نظرا للتفضيل الذي منحهم الله إياه عليهن ونظرا للإنفاق الذي يقومون به لسد حاجياتهن".

نلاحظ في هذه التـراجم تصـرف المتـرجـمين في الآية بقلب مـعـانـيهـا وأسلوبهـا، زيـادة على التـمطيط والعـبـارات الكثـيـرة المضـافـة في النصـوص الحـاصلة. فـالقـوامـة التي تعني الخـدمـة والسـهـر على، وتوفـير الحـاجيـات، أصـبـحت تفـوقـا عـلـى النسـاء عند كـازيمـرسكي وخـوام، وسلطـة وعنفـا مسلطين على النساء عند بلاشير وماصون.

أما التفضيل الذي جاء مبهما في الآية ويدل السياق على تخصص النساء به لأنهن اللاتي سيسهر الرجال على خدمتهن والقيام بحاجياتهن والنفقة عليهن، فإن الجميع - باستثناء بلاشير - جعلوه في صالح الرجال وذلك بتمطيط المعاني، وزيادة ألفاظ غير واردة في الآية ولم يدل عليها السياق. فالجملة القرآنية : "بما فضل الله بعضهم على بعض" التي تحتمل أكثر من معنى، صارت عند كازيمرسكي مثلا : "بسبب الخصال التي رفع الإله بها هؤلاء الرجال على هؤلاء النساء"، ولا أثر للخصال في سياق الآية، والنتيجة : 6 ألفاظ قرآنية مقابل 11 لفظة للمترجم ! ولا ندري كيف قرأ في هذه الآية كل هذه المعاني بكل هذا الوضوح ؟ !

أما المقطع الأخير من الآية : "وبما أنفقوا من أموالهم" فإن معنى النفقة فيه عام، ولم تحدد الآية أوجه الإنفاق وكيفيتها. إلا أن كازيمرسكي يفهم من ذلك "استعمال الأمتعة لإمهار النساء"، فهل يكون ذلك مؤشرا للتفوق عليهن ؟

وفهم خوام من هذا المقطع النفقة بتقتير للإبقاء على حياة النساء، وهذه النفقة، إلى جانب التفضيل الذي أظهره الإله للرجال على النساء سبب في تفوق الجنس الذكري عليهن ! ولعل هذا الفهم يوافق ما ذهب إليه بعض كبار المفسرين مثل ابن كثير الذي يقول في تفسير هذه الآية : "الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت (بما فضل الله بعضهم على بعض) أي لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة ..." [59].

ولقد قال الزمخشري المعتزلي القائل بالعقل أنه يخشى المرأة أكثر مما يخشى الشيطان، لأن الله يقول في حق النساء "إن كيدكن عظيم" [60]

---

(59) ابن كثير، المصدر السابق، ج 1 ص 422.

(60) يوسف، الآية 28.

وقال عن الشيطان : ﴿ **وكان كيد الشيطان ضعيفا** ﴾ [61]. كما اعتبر ابن كثير والطبري السفيه [62] - المرأة والطفل والمجنون والمفلس - تفسيرا للآية القائلة : "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ [63]. فإن كان هذا شأن كبار المفسرين فكيف بالمستشرقين ؟

أما موضوع خلق الإنسان في القرآن فندرسه من خلال نماذج من ترجمة كل من ماصون وكازيمرسكي نظرا لتشابه التراجم.

تؤدي ماصون معاني الآيات 12 و13 و14 من سورة "المؤمنون" كما يلي : «Nous avons crée l'homme de l'argile fine, puis nous en avons fait une goutte de sperme contenue dans un réceptacle solide , puis de .cette goutte nous avons fait un caillot de sang puis de cette masse nous avons crée des os, nous avons revêtu les os de chair produisant ainsi une autre création - Bénit soit Dieu - le meilleur des créateur!» ومعنى ذلك" : خلقنا الإنسان من طين جيد، بعد ذلك جعلنا من (الطين أومن الإنسان) قطرة مني موضوعة في مهاد صلب، ثم من هذه القطرة جعلنا (قطعة) دم جامد، ثم من هذه العرمة خلقنا عظاما، وألبسنا العظام لحما منتجين هكذا خلقا آخر تبارك الإله أحسن الخالقين".

وفي نفس المعنى تقريبا ترجم كازيمرسكي وكأننا بالواحد نقل عن الآخر دون أي جهد حيث يقول : «Nous avons créé l'homme de l'argile fine, ensuite, nous l'avons fait une goutte de sperme fixé dans un réceptacle solide. De sperme nous l'avons fait un grumeau

(61) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 315.

(62) انظر : ابن كثير، المصدر السابق، ج 1، ص 389، وكذلك

- الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 1 ص 99.

(63) النساء، الآية 5.

de sang, le grumeau de sang devint un morceau de chair que nous avons formé en os et nous revêtimes les os de chair, ensuite nous l'avons formé par une seconde création - Bénit soit Dieu le plus habile des créateurs»

ويضيف في ترجمة الآية 15 : «Après avoir été créés vous mourrez» ونترجم كلامه بـ : "خلقنا الإنسان من طين جيد، بعد ذلك جعلنا من (الطين أومن الإنسان) قطرة مني مثبتة في مهاد صلب، من المني جعلنا قطعة دم جامد، قطعة الدم الجامد أصبحت قطعة لحم سويناها عظما (أو عظاما) وكسوناها لحما، ثم كوناها بخلق ثان، تبارك الإله أبرع الخالقين ! ! ... ثم بعد أن خلقتم ستموتون".

فهل يترجم هذا الكلام بموضوعية ووفاء عن معاني خلق الإنسان التي يصوغها القرآن كما يلي : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر. فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ ؟ (64)

إن القارئ للآيات يفهم دون إشكال أنها تتكلم عن مراحل الخلق التي ذكرت في آيات عديدة من القرآن : الخلق الأول من تراب (خلق آدم وحواء)، ثم التقدير الثاني للخلق وهومن النطفة البشرية، والنطفة هي خليط من بويضة المرأة ومني الرجل، يشهد لذلك الآية الواردة في سورة الإنسان : "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج (65) نبتليه ..."أي أخلاط نصف من الأم، ونصف من الأب، ثم إن هذه النطفة قد جعلت في "قرار مكين" وهو أعماق الرحم، وهذا "القرار" ظرف مكان لأنها ستستقر

---

(64) المؤمنون، الآيات 12 - 13 - 14.

(65) الإنسان، الآية 2.

فيه لأجل مسمى لذلك نعته القرآن بلفظة "مكين" أي : شديد ثابت، محمي عميق، وبه ستعلق هذه النطفة أي ستلتصق، لذلك سماها القرآن علقا. وهذا "العلق" يتطور - لأنه كائن حي - إلى قطعة من الخلايا الحية التي ستتكون منها العظام وتكسى لحما وقد سماها القرآن "مضغة".

ومفهوم الآية لا يتعارض مطلقا ومراحل تكوين الإنسان في علم الأجنة الحديث. ولسنا نريد بأية حال من الأحوال أن نقول إن القرآن كتاب علم، ولا يعطي دروسا تطبيقية في علم البيولوجيا أو علم الأجنة، كما ذهب إلى ذلك البعض (66)، وإنما هي مجرد ملاحظات ساقتنا إليها الترجمة البعيدة عن معاني الآية والتي كما أسلفنا جعلت الإنسان يتطور من طين إلى قطرة مني حاملة لآلاف وملايين الخلايا، وفجأة إلى دم جامد ميت لا حركة ولا حياة فيه، في موضع صلب يجهل جنسه، ثم من هذا الدم المتجمد تنبعث عظاما وتلبس لحما. ولعمري ما أعجب هذا الخلق ! ولا غرابة أن نجد المترجمة ماصون تضع نقطة تعجب بعد "أحسن الخالقين" !

أما بالنسبة إلى كازيمرسكي، فإن قطعة الدم المتجمد تصبح وحدها قطعة لحم تعجن ليصنع منها عظم أوعظام، ثم يتدخل الإله ليكسوهذا العظم لحما، ثم يعجن الكل ويصنع منه خلقا ثان !! وإن هذا كله ليتطلب مهارة حقا حيث يترجم صاحب المعجم العربي الفرنسي نهاية الآية 14 بـ : «Bénit soit Dieu le plus habile des créateurs» ثم إن هذا الجهد كله عناء زائد وعبث، - وإنه على هذه الحال التي ترجم عليها لكذلك - لأن هذا المخلوق العجيب سيموت مباشرة بعد خلقه، حيث ترجم الآية 15 من سورة "المؤمنون" بما يلي : «Après avoir été crées vous mourrez»

(66) راجع : Bucaille, Maurice, La Bible, le Coran et la Science, édition : Sechers, Paris 1976. P 200 et suivantes

وكذلك مصطفى محمود، التفسير العلمي للقرآن .

إن الباحثين يترجمان على نفس المنوال وبنفس المصطلحات تقريبا كل الآيات المتناولة لخلق الإنسان في القرآن. فلقد ترجمت ماصون عنوان سورة العلق Le caillot de sang أي : "قطعة الدم الجامد "وترجمت ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ [67] بـ : «Il a crée l'homme d'un caillot de sang» أي : "خلق الإنسان من قطعة دم متجمد". وترجم كازيمرسكي سورة العلق بـ : «Le sang coagulé» وهو "الدم المتجمد" والآية 2 من نفس السورة بـ : «Qui a créé l'homme de sang coagulé» أي : "الذي خلق الإنسان من دم متجمد".

وكلاهما يؤكد المعنى ذاته معتمدا التعابير نفسها في ترجمة الآية 67 من سورة "غافر". فالتراب يتحول دائما إلى قطرة مني، ثم إلى دم متجمد، ثم إلى إنسان. وكذلك الأمر بالنسبة للآيتين 37 و38 من سورة "القيامة". وإن العائد إلى هذه التراجم يجد الخبر اليقين. أما فيما يتعلق بالآية 2 من سورة الإنسان، فالموقف يتغير، وكأن فيه بعض الاجتهاد، إذ تضيف ماصون لقطرة المني أخلاطا أخرى لا تفصح عنها الترجمة، وتعكس مفهوم الآية وتشحنها معاني أخرى، فالله "خلق الإنسان ليبتليه" بينما الذي جعله القرآن محورا أساسيا للآية هوموضوع خلق الإنسان من نطفة أمشاج.

تقول الترجمة : «Nous avons créé l'homme pour l'éprouver d'une goutte de sperme et de mélanges ! » ومفادها : "خلقنا الإنسان لنمتحنه من قطرة مني ومن أخلاط". وما عسى أن تكون هذه الأخلاط؟ وما الذي جعل المترجمة تعطف الأخلاط على قطرة المني ؟ ومن حدثها عن كمية المني أقطرة كانت أم أكثر أم أقل ؟ والحال أن الآية تتحدث عن نطفة هي في حد ذاتها أخلاط أو "أمشاج" على حد تعبير القرآن، تقول الآية : "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ..."

---

(67) العلق، الآية 2.

أما كازيمرسكي فيجيد ترجمة "نطفة أمشاج" حيث يؤديها كما يلي : «Sperme où étaient réunis les deux sexes» والمستفاد : "مني قد اجتمع فيه الجنسان".

وبعد كل هذا يدعي الجميع أن ما كتبوا قرآنا أوترجمة للقرآن، فقد كتب على غلاف كل ترجمة كما أسلفنا.

خاتمة :

أبرزنا من خلال الأمثلة المدروسة المتقدمة كيف اهتمت التراجم القرآنية حينا بالمعنى وأحيانا باللفظ، دون إحكام وضبط لمقاصد الآيات، فلم تكن وفية للنص، وأنها في مواضع أخرى قد حادت عن اللفظ والمعنى معا. ولعل ذلك عائد بالدرجة الأولى لصعوبة النص في حد ذاته واستعصائه على الترجمة نظرا للمعاني الملتوية والأساليب المعقدة، والمصطلحات الخاصة التي تطبعه من ناحية، وربما من ناحية أخرى لأن اللغة المترجم إليها كانت غير مستوعبة لهذه التعقيدات اللغوية، وغير قادرة على توفير مترادفات تفي بمعاني النص الأصلي، كمصطلحي الجنابة والتيمم مثلا. إلا أنه على المترجم الذي يقدم على عمل بهذا الحجم والأهمية أن يكون حذرا، وأن يوليه كل ما يستحقه من درس وعناية وتفحص دقيق ومقارنات للشروحات والآيات المتشابهات والمذاهب الفقهية حتى لا يسقط في الخطإ الذي وقعت فيه أغلب التراجم التي بين أيدينا. فأين يتجلى ذلك ؟ وما هي المضاعفات الفكرية والحضارية لهذه الترجمة ؟

إن نظرة إجمالية فاحصة لبعض الآيات التي تناولنا بالدرس تعطينا صورة قاتمة عن القرآن، وليس مقصدنا الدفاع عن القرآن، وإنما نحن بصدد التأكيد على دور الترجمة وأهميتها في دفع الجدال ونقل التصورات

والمفاهيم للغات الأخرى لإذكاء الحوار الذي نأمل أن يكون بناء بين الأديان والحضارات.

ولهذا السبب نود أن نجلي من خلال بعض النماذج المدروسة الانطباع الذي خلفته التراجم عن بعض القضايا العقائدية والحضارية العربية الإسلامية خصوصا في نفوس من يتعذر عليهم الإطلاع على القرآن بسبب جهلهم باللغة. وسنحصر منهجيا هذه الانطباعات في ثلاث مسائل :

الانطباع الذي خلفته هذه التراجم عن قضية خلق الإنسان في القرآن.

الانطباع الذي خلفته هذه التراجم عن بعض المسائل التعبدية في القرآن.

الانطباع الذي خلفته هذه التراجم عن بعض العلاقات الاجتماعية في القرآن، كالعلاقة بين الرجل والمرأة.

تصور التراجم التي بين أيدينا خلق الإبسان من طين يتحول إلى قطرة مني في مهاد صلب، وهذا المني يتطور، فمن دم متجمد إلى قطعة لحم يسويها الإله عظما، ثم يكسوها لحما، وبعد ذلك يجعل منه - بخلق ثان - كائنا آخر لا تفصح الترجمة عن ماهيته، (ترجمة ماصون وكازيمرسكي لآيات الخلق في القرآن : العلق الآية 2، النساء الآية 5، الإنسان الآية 2، المؤمنون الآيات 12 و13 و14) [68].

أما الناحية التعبدية المتمثلة في الآيات المتعلقة بالطهارة والصوم التي أسلفنا، فإن الترجمة تجعل من الإنسان الجنب إنسانا ملوثا أومتدنسا إن أراد التطهر للصلاة بواسطة التيمم، يصب ترابا جيدا على وجهه ويديه،

---

(68) للقارئ أن يتصور كيف يمكن أن يحكم كل من له معرفة بالعلوم التجريبية والبيولوجية على هذه المعلومات التي تنقلها التراجم إلى الحضارات الأخرى، وما الذي يمكن أن ينجر عليها من تصورات وانطباعات خصوصا إذا تشابهت التراجم في المعاني والألفاظ.

(ترجمة بارك وبلاشير وماصون للآيات 6 و7 و8 من سورة المائدة) أو يدلك وجهه ويديه بتراب رقيق، (ترجمة كازيمرسكي). فإن أراد الوضوء يغسل وجهه ويديه ويمرر يده أو يديه على رأسه وعلى رجليه إلى الكعبين دون ماء (ترجمة بارك وماصون وبلاشير وكازيمرسكي). أما الصوم فإنه يتعين على المرء بسقوط القرآن من أعلى بأكمله دون فاعل في جوف هلال رمضان، (ولسنا بصدد إعطاء صورة كاريكاتورية عن المسألة فتلك لفظيا ترجمة كازيمرسكي للآية 185 من سورة البقرة). ويجعل الله فيه الجماع للمسلمين حلالا طيلة الليل دون اعتبار لمواقيت الإمساك ولمحظوراتها (ترجمة بلاشير وماصون للآية 187 من سورة البقرة)، أويصومون الليل ويجامعون فيه نساءهم (ترجمة بارك لنفس الآية)، وتحل أغلب التراجم الإفطار في يوم رمضان، إذ تجعل للقادر على الصوم الممتنع عنه وللمستطيع المفطر المعفي لنفسه بنفسه فدية إطعام مسكين، (ترجمة خوام وبلاشير وبارك وكازيمرسكي للآية 184 من سورة البقرة).

أما عن بعض العلاقات الاجتماعية في فهم هؤلاء المترجمين للقرآن كالعلاقة الزوجية مثلا، فإن الرجل والمرأة كل منهما ثوب للآخر، (ترجمة كل من خوام وبارك وماصون وبلاشير للآية 187 من سورة البقرة)، إلا أن الرجال متفوقون على النساء، (ترجمة خوام وكازيمرسكي للآية 34 من سورة النساء)، ومتسلطون عليهن (ترجمة بلاشير وماصون لنفس الآية) قد فضلهم الله عليهن (ترجمة كازيمرسكي وبلاشير وماصون) وذلك بسبب إمهارهم لهن (بالنسبة إلى كازيمرسكي)، أولأجل النفقة عليهن للإبقاء على حياتهن (خوام). ولن نتحدث عن موقف القرآن من هذه القضايا فقد فصلنا القول فيها أثناء التحليل، ولكننا نتساءل عن الانطباعات التي يمكن أن تتركها مثل هذه التراجم في نفوس من يلج الحضارة العربية الإسلامية عبر الترجمة !

وخلاصة القول، نوجز استنتاجاتنا في النقاط التالية :

1 - لم تكن التراجم وفية للنص القرآني فخلفت كما أسلفنا صورة مشبوهة قاتمة عن القرآن وعن الحضارة العربية الإسلامية.

2 - لئن أجادت في ترجمة قسم وافر من القرآن فإنها جمدت مرونة بعض الآيات، وأعطت أحكاما قطعية مخالفة لصريح النصوص وللسنة، ولإجماع المستنبطين للأحكام دون دليل.

3 - إن التشابه في التراجم يتجاوز في كثير من الأحيان مستوى المعاني إلى مستوى الألفاظ والأساليب مما يجعلنا نقر بنقل المترجمين عن بعضهم البعض أحيانا حرفيا دون تفكير في معاني النص الذي يترجمون، ودون الرجوع إلى المصادر!

قائمة المصادر والمراجع

الباقلاني، (أبوبكر محمد بن الطيب)، الانتصار للقرآن، طبع بالتصوير عن مخطوطة قره مصطفى باشاه، مكتبة بايزيد في إسطنبول، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية 1986.

الباقلاني، (أبوبكر محمد بن الطيب) إعجاز القرآن، طبعة دار الأمين، 1993.

لجزيري (عبد الرحمان)، الفقه على المذاهب الأربعة، طبعة دار الفكر، (دون ذكر للمدينة) 1986.

الزمخشري (أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر، الخوارزمي)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبعة انتشارات أفتاب طهران، د.ت.

سابق (السيد)، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، المجلد الأول

الشبعان (محمود)، أين من القرآن تراجم القرآن، تونس 1983 .

الطبري (ابن جرير)، جامع البيان في تفسير القرآن، طبعة حلبي، القاهرة 1961.

ابن كثير، (عماد الدين أبوالفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، دار القلم، بيروت، طبعة ثانية، د.ت.

كشريد (صلاح الدين) ، القرآن : تلقين للتأويل الموضوعي لنص القرآن الكريم، طبعة دار السلاسل، الكويت، 1984.

ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار صادر، دار الجيل، بيروت 1968.

المصادر باللغة الفرنسية :

Berque (Jaques), Le Coran, Essai de Traduction par Jacques Berque Edition revue et corrigée, Albin Michel Paris 1995.

Blachère (Régis), Le Coran, Traduction Régis Blachère, Edition Maisonneuve et Larose, Paris 1980.

Bucaille (Maurice), La bible le Coran , et la Science, Edition Sechers, Paris 1976.

Dictionnaire Larousse, Edition Librairie Larousse, Paris 1979.

Masson (Denise), Le Coran, traduction de Denise Masson, Edition Gallimard 1967.

Kasimirski, Le Coran , Traduit de l'Arabe Par Kasimirski, Edition Flammarion, Paris 1970.

Kechrid (Salah Ed-Dine), al Quran al Karim, Traductin et notes, Dr Salah Ed-Dine Kechrid, dar el Gharb al Islami, 2éme édition, 1984.

Khawam (René R), Le Qoran, Texte Intégral René R. Khawam, Edition Traduit sur la vulgate Arabe par Maisonneuve et Larose 1990.

Rénan (Ernest), l'Avenir de la Science.